وأفكاره ؟ أيبصر ألوان أنفاس الأرض والسماء ؟ أيبصر اللون الذي ليس لوناً لأن فيه تلتقي وتندغم كل الألوان ؟ إذن كيف له أن يحدّث عن الجمال ، وجمال العالم التام إنما يتمّ بكل ما في العالم من الألوان ، ولوني ولونكم منها أيها الغربان ؟

أم كيف له أن يحدّث عن الألحان ، وهو ينصت إلى الحياة بأذنين — أذن يسمع بها صوت « أنا » ، وأخرى يسمع بها صوت « العالم » ؟ وماذا عساه يسمع ؟ أيسمع العصير يمشي في جذور هذه البلوطة وجذوعها ؟ أيسمع رقصة الحياة في هذه الحجارة ؟ أيسمع الأرض وكل أجرام السماء دائرة في الفضاء ؟ وإن هو لم يسمع هذه فكيف له أن يسمع صوت العالم الكامل الذي تنسكب فيه كل هذه الأصوات وربوات سواها فيتألف منها لحن الآزال والآباد الكامل ؟

إن صوت الغراب وصوت الإنسان يتمّمان جوقة الطبيعة التامة . إلاّ أن الغراب يعرف ذلك فلا يقول للإنسان : ما أكره صوتك في أذني . ويجهله الإنسان فيقول للغراب : إنّني أكره تنعابك لأنّه ينذر بالبين .

« البين » ! وما همّ العالم الذي لا يعرف انفصالاً ولا اتصالاً بفراق الإنسان ولقائه ؟

ثم يكره الإنسان الغراب لأنّه — في زعمه — خائن ، والخيانة في نظره نقيض الأمانة . وهذان النقيضان ، كسواهما